مزيداً من التركيز يا أوغسطينوس ...

قصة بقلم سلافة العامري

وتتجلى مثالية القديس اوغسطينوس في مقارنته مدينة الله القائمة على المحبة وبذل الذات ، بمدينة الانسان القائمة على روح المادية ، وفي ان العقيدة الدينية مثال اعلى يحرك الانسان نحو الاكمل فالاكمل ، وفي ان الاجتماع القائم على رباط العقيدة والمثال الاعلى هو الاجتماع الاكمل . وهو يرى ان غاية الحكم في احلال العدل بين الناس ، والا كان الحكم جائرا . وهكذا كان كتاب القديس اوغسطينوس صلة الوصل بين العصور القديمة والعصور الحديثة ، وكان له الاثر الواسع في تنظيم الدول الاوروبية الحديثة .

كانت ريما تقرأ بشغف ولذة وتلاحق الكلمات بنهم عنيف ، وتتقبل الافكار بسلاسة ويسر ، الا انها حينما وصلت الى هذا الحد رف جفناها ، فرفعت عينيها عن الكتاب ، فوقع نظرها على القماش المخطط الذي يغطي مقعدها ، ففكرت ان جلستها هذه مريحة ، والغرفة كلها مريحة ، ثلاثة اسرة بيضاء ، مطرزة بحرير اخضر ، ومقعدان طويلان مريحان احتلت احدهما ، لا بأس بها غرفة اخوتها هذه ، يمكنها ان تقضي فيها وقتا هادئا ، خاصة اذا كانت مرتبة ونظيفة ، ولكن للاسف سيتركونها ليحتلوا احدى غرف القسم الداخلي من مدرسة في دمشق ، اجل سيذهب اخوتها الثلاثة الى دمشق ، ووثبت الى مخيلتها صورتهم وقد حملوا حقائبهم ثم احتلوا المقعد الخلفي من سيارة والدها بينما احتلت امها المقعد الامامي الى جانب والدها ، وانطلقت السيارة الى المحطة تطوي المسافة بين قرن الشباك والبرج . واخذت الكلمات تتدفق على لسان والدها ، ناصحا واعظا الفتيان الثلاثة الذين شبوا عن الطوق او كادوا ، محذرا اياهم من مغبة اضاعة السنة الدراسية في اللهو والطيش الصبياني ، ومجاراة الفتيان الاخرين في الغدو والرواح ، خاصة وانهم اضاعوا السنة الماضية ، ويجدر بهم ان يكسبوا هذه السنة .... وتبع اوغسطينوس عدد كبير من علماء اللاهوت المسيحي الذين عالجوا السلطة والواجبات والحقوق ، ومهدوا الطريق للدراسات الحديثة .

واخيرا ظهر ابن خلدون بمقدمته التي سنفصل آراءها ، ومنذ القرن السادس عشر نشأت في علم الاجتماع نزعتان متباينتان : نزعة واقعية مع ميكيافيلي ، ونزعة خيالية مع توماس موروس ، ولما كان القرن الثامن عشر ظهر علم الاجتماع الموضوعي ، فقام هوبس يكتب ويضمن كتاباته جميع العناصر التي يتألف منها علم النفس الاجتماعي والسياسي، ويفسر في نزعة تشاؤمية العلل المحركة للعلاقات الاجتماعية . وقام سبينوزا وجعل من تعاون الافراد شخصا اجتماعيا لا حدود لامتداده وتطوره . وظهر جان جاك روسو بنظرية « العقد الاجتماعي » وجعل في اساس نظريته ان الانسان صالح بالطبع ، وانه يولد بحقوق مطلقة، وظهر مونتسكيو مع كتابه « روح القوانين » الذي ضمنه حكمة التشريع ... لقد طرق سمع ريما وقع خطى والدها وقد اتى لتناول طعام الغداء . فتذكرت انها اوصته في الصباح ان يشتري لها « سبراي » فشعرها ناعم ولا يمكنها ان تتركه بدون « سبراي » والا سيكون لقمة سائغة لعبث الهواء وهو يخترق نافذة الترام اثناء ذهابها الى المدرسة، ترى هل تذكر والدها طلبها ام انه نسي .. وفكرت في ان تترك الكتاب ريثما تذهب لتستجلي حقيقة الامر ، ثم تعود لتتابع القراءة ، ولكنها عدلت عن رأيها ، فان هي تركت كتابها الان فسيوهن ذلك عزيمتها ، بينما هي في حاجة ماسة للاسراع في انهاء هذا الكتاب . فقد مضى عليها في قراءته ما يقارب الثلاثة اشهر ، فهو وان ادبى عدد صفحاته على الثمانمئة صفحة قاربت الان نهاية السنة الاخيرة ، فان الاستمرار في قراءة كتاب واحد لمدة طويلة يبعث الملل في النفس ويثير الضجر ..... والقانون في نظره علاقة ضرورية تنشأ من طبيعة الاشياء ، ومن ثم فهنالك عدد من العلاقات الثابتة بين اشكال الحكم والتشريع عند الشعوب وطرق معيشتها واحوال مناخها ، وهكذا فالاوضاع السياسية والاجتماعية عنده قائمة على علاقات ثابتة بين طبيعة الانسان وطبيعة الاشياء ، واما فيكو فقد قال بوحدة التطور الانساني وتشابه القوانين التي تتمشى عليها الشعوب المختلفة في الاطوار المتتابعة والمتشابهة التي يجتازها كل شعب منها ... واطل رأس احد اخوتها من فرجة الباب وقال باسما : ازف موعد الغداء يا عزيزتي ، اسرعي فالجميع حول المائدة .

دمشق — سلافة العامري

صدر حديثا

أقول الحق ..

للشاعر

صلاح عبد الصبور

طبعة جديدة من ديوان احدث

ثورة في الشعر العربي الحديث

الثمن ٢٥٠ ق. ل — منشورات دار الاداب